



الموجز في تاريخ عسقلان

تأليف: عارف العارف



الموجز في تاريخ

عسقلان

وزارة الثقافة الفلسطينية

سلسلة الموروث الثقافي

اسم المؤلف: عارف العارف

اسم الكتاب: الموجز في تاريخ عسقلان

الطبعة الأولى: ١٩٤٣ عن مطبعة بيت المقدس - القدس.

الطبعة الثانية: ٢٠٢١

الإشراف العام: عبد السلام عطاري

مراجعة وتدقيق: رشيد عناية - نور عرفات

تصميم الغلاف: فاطمة حسين

لوحة الغلاف للفنانة: عفاف عرفات

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعمال المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of the publisher

فلسطين

www.moc.pna.ps

الموجز

في

تاريخ عسقلان

تأليف

إ. عارف العارف

فائ مقام غزة

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م

مطبعة بيت المقدس - القدس

الموجز في تاريخ

عسقلان

مقدمة الكتاب

ما كدت أنتهي من تأليف كتابي في (تاريخ غزة) حتى شعرت بالرغبة تحدوني لوضع هذه الرسالة الموجزة في (تاريخ عسقلان)؛ ذلك لأنهما تومان. أو لم يأت في الحديث النبوي "طوبى لمن سكن إحدى العروسين: غزة وعسقلان"؟

إن من يتتبع تاريخ هاتين المدينتين يرى أنهما ترجعان إلى أصل يكاد يكون واحداً، ومجد يكاد يكون متشابهاً. ولا غرو أنهما أختان متجاورتان لا يفصل الواحدة منهما عن الأخرى سوى بضعة أميال.

هذا ما حفزني لوضع رسالتي هذه، وليس لي من فضل في وضعها سوى أنني تصفحت من أجلها عددًا من الكتب والأسفار، وجمعت ما تبعثر في بطون هذه الكتب والأسفار من أحاديث وأخبار، وأضفت إلى ذلك فصلًا أسميته (عسقلان في يومنا هذا). فإذا كنت قد أصبت المرمى كان ذلك ما أبغي، وإلا فليتقدم إلى الميدان من يكمل النقص. والله من وراء القصد.

عارف العارف

مصادر الكتاب

أ- الكتب العربية:

- ١- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين المقريزي.
 - ٢- تاريخ شرق الأردن وقبائلها لبيك باشا.
 - ٣- رحلة ابن بطوطة لمحمد بن عبد الله الطنجي.
 - ٤- تاريخ غزة للمؤلف.
 - ٥- معجم البلدان لياقوت الحموي.
 - ٦- خطط الشام لمحمد كرد علي.
 - ٧- تاريخ مصر لابن إياس.
- ### ب- الكتب الأفرنجية:

- 1- Encyclopedia Britannica.
- 2- The Historical Geography of the Holy Land by G. A. Smith.
- 3- Joshua Judges by Y. Garsting ang.
- 4- The Australian Imperial Force In Sinai & Palestine by H. S. Gullett.

عسقلان في زمن

الفراغة

إن أول ذكر لعسقلان في كتب التاريخ، نجده حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد، ويظهر أنها كانت يومئذ محاطة بمتراس من التراب المتكتل؛ وقد ذكرها المصريون حوالي ذلك التاريخ، فوصفوها بالمدينة الكنعانية؛ وقالوا إنهم عندما افتتحوها، وجدوا حولها سورا حصينا وبرجا كانا قد شيئا لأجل الدفاع عنها.

وذكرت عسقلان في ألواح تل العمارنة (١٤٠٠ ق. م) بين المدن التي كاتبت فرعون مصر، واستمدت منه العون ضد الغزاة الطامعين. وفي رسالة عسقلان هذه اعتراف بالحكم الفرعوني، وقد كتبت بعبارة تدل على الإخلاص المطلق، ولكن الصورة التي وجدت في هذه الألواح، والتي تمثل سكان عسقلان، تدل على أن سحنهم ليست كسحن الفلسطينيين الآخرين، ويظهر أنهم حيثيون أو كنعانيون، امتزجوا بعدئذ بالفلسطينيين الذين جاؤوا إليها، عن طريق البحر.

ذكر تاحوتمس الثالث في فتوحاته: جرار وغزة وعافر واللد والكرمل وغيرها من البلدان، ولكنه لم يذكر مدينة عسقلان.

والمعتقد أن رعمسيس الثاني قد استولى عليها في عام ١٢٨٥ ق. م. ولكنه لم يمكث فيها طويلاً، ولا اهتم بعمرانها، ويظهر أن فلسطين كلها، ما كانت تشغل باله، مثل ما كان يشغل باله في ذلك الحين، أمر الحيثيين في الشمال. فقد هاجمهم في قادش، وسلك لأجل ذلك طريق البحر كما فعل تاحوتس الثالث من قبله، وقد كان جيشه مؤلفاً من عشرين ألفاً من الرجال بين مشاة وفرسان. وفيما كان منهمكاً في حروبه مع الحيثيين، قامت ثورة في الجنوب، شملت مدن فلسطين كلها، وكانت غزة وعسقلان من أهم مراكز الثورة؛ فاضطر رعمسيس الثاني للرجوع إليهم وإخضاعهم، وإخضاعهم هذا جاء عن طريق البحر، وعلى يد (شمر بن عناة)، القائد البحري السوري، الذي كان حليفاً لرعمسيس الثاني في ذلك الحين، فأصاب عسقلان شيء كثير من الخراب.

وسواء أكان سكان عسقلان عند فتح رعمسيس الثاني لمدينتهم، حيثيين أم كنعانيين، فالظاهر من سحنهم وملابسهم وأشكالهم الفسيولوجية، ومن أسلحتهم وعددهم الحربية، في الصورة المنحوتة التي وجدت بين الآثار المصرية، أنهم لم يكونوا يومئذ من نفس الجنس والشكل الذي كان عليه الفلسطينيون، بعد عصر

من ذلك التاريخ، أي في عهد رعمسيس الثالث؛ ولهذا يعتقد المستر غارستنغ أن طلائع الفلسطينيين نزلت عسقلان في أواخر حكم رعمسيس الثاني، وقد جاء في تاريخ مصر القديم، أن فرعون مصر الشهير رعمسيس الثالث، دافع عن عسقلان دفاع الأبطال (١٢٢٥ ق. م)، وأنه اتخذها يومئذ ملجأ لصد غارات الفلسطينيين.

وقد كان للفلسطينيين في ذلك العهد مدن منظمة، وهناك من يعتقد أن رعمسيس الثالث هذا، اضطر بعدئذ لمسالمتهم، فأقاموا في المدن الحصينة، التي اشتهرت في ذلك العهد ومنها عسقلان، فصانوا الأمن وحفظوا النظام باسم مصر.

ثم ذكرت عسقلان بين المدن التي افتتحها مرت بتاح (١٢٢٣ ق. م.). ويظهر أنها في هذه المرة أيضاً اتحدت مع باقي المدن الفلسطينية، واثارت ضد الحكم المصري. فأخضعها مرن بتاح. وهناك أغنية مصرية قديمة تشير إلى هذا الحادث.

وعندما خلع الفلسطينيون وفي مقدمتهم العسقلانيون، نير الحكم الفرعوني، أسسوا ملكهم ووطدوا سلطانهم؛ فتمكنوا بذلك من

إخضاع بني إسرائيل، والشعوب الأخرى التي كانت في البلاد،
وجمعوا الضرائب وأنفقوها في سبيل مصالحهم.

عسقلان وبنو إسرائيل

ورد ذكر عسقلان مراراً في أسفار العهد القديم. فقد كان اليهود
يسمونها (اشقلان) (אשקלון) و(أشقلون) (אשקלון)
و(عسقلون) (עשקלון) وما إلى ذلك. وقد ذكرها داود في
مزاميره، وكثيراً ما أشار إليها وإلى جات، كأنهما الصورة الجلية،
التي تصور المدن الفلسطينية إذ قال: "لا تديعوا ذلك للملأ في
أسواق عسقلان. . ." وكانت في زمنه سوقاً تجارية، وكانت دوماً
على جانب عظيم من الرحابة والثراء.

وعندما انقسم بنو إسرائيل، إلى شيع وأساط، على عهد رحبعام
بن سليمان (٩٣٠ ق. م)، وانقسمت البلاد إلى مملكتين: (إسرائيل)
في الشمال و(يهوذا) في الجنوب؛ كانت عسقلان من نصيب يهوذا،
إذ جاء في سفر القضاة ١٨:١: "وأخذ يهوذا غزة وتخومها،
وأشقلون وتخومها، وعقرون وتخومها". ولكن يظهر أنهم لم
يستطيعوا أن يسيطروا عليها سيطرة تامة. إذ جاء في نفس السورة

من سفر القضاة: "وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل، ولكن لم يطرد سكان الوادي، الآن هم مركبات حديدية. . .". ويعتقد الأستاذ غارستنغ أن غزة وعسقلان من سكان الوادي.

ويظهر أن الكفاح بين اليهود والفلسطينيين كان عنيفا، ودام طويلا. ولم يستطع اليهود حتى في أوان مجدهم، من الاستيلاء على السهل، وحينما كان الفلسطينيون يضعفون ويصبحون على وشك أن يفقدوا استقلالهم، كانوا يؤثرون الخضوع إلى مصر وفرادتها، على الخضوع لسلطان اليهود وسيطرتهم.

غير أن المكابيين تمكنوا من اجتياح فلسطين بالسيف والنار، على عهد قائدهم يوناثان. فأخذوا عاقر وأسدود من المدين الفلسطينية، غير أنهم لم يحتلوا عسقلان، بل عقدوا اتفاقا معها. وكان ذلك حوالي عام ١٤٧ ق. م. فاستعادت في زمنهم شهرتها السابقة. وعندما صب (اسكندر بانيوس) جام غضبه على غزة وخرّبها، خضعت له عسقلان، فسلمت من شره.

ولكن هذا الوثام لم يدم طويلا، إذ عادت عسقلان فتمسكت بعروة الاتحاد الفلسطيني، وناصبت المكابيين العدااء. وهكذا ترى

الخصام قد دام، والفساد لم ينقطع بين اليهود والفلسطينيين منذ عهد القضاة؛ وكانت عسقلان في مقدمة المدن الفلسطينية التي رفعت علم الخصام، وإليك البرهان:

صموئيل ١-٦:٧

" وَهَذِهِ هِيَ بَوَاسِيرُ الذَّهَبِ الَّتِي رَدَّهَا الْفِلِسْطِينِيُّونَ قُرْبَانَ إِيْتِمٍ
لِلرَّبِّ: وَاحِدٌ لِأَشْدُودَ، وَوَاحِدٌ لِعَزَّةَ، وَوَاحِدٌ لِأَشْقَلُونَ، وَوَاحِدٌ لِحَتَّ،
وَوَاحِدٌ لِعَفْرُونَ."

الملوك الثاني ١٨:٨

"كَانَ حَزَقِيَّا بْنُ أَحَازَ مَلِكِ يَهُودَا. . . وَعَمَلَ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنِي
الرَّبِّ. . . وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ فِي جَمِيعِ مُلُوكِ يَهُودَا. . . وَكَانَ الرَّبُّ مَعَهُ.
. . . وَعَصَى عَلَى مَلِكِ أَشُورَ. . . وَضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ إِلَى غَزَّةَ
وَتُخُومِهَا. . ."

ارميا ٤٧-١:٥

" كَلِمَةُ الرَّبِّ الَّتِي صَارَتْ إِلَى إِرْمِيَا النَّبِيِّ عَنِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ قَبْلَ
ضَرْبِ فِرْعَوْنَ غَزَّةَ. كَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَا مِيَاهُ تَصْعَدُ مِنَ الشَّمَالِ

وَتَكُونُ سَيْلًا جَارِقًا، فَتُغْشَى الْأَرْضَ وَمِلْأَهَا، الْمَدِينَةَ وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا،
 فَيَصْرُخُ النَّاسُ، وَيُؤَلُّوْا كُلَّ سَكَّانِ الْأَرْضِ. . . بِسَبَبِ الْيَوْمِ الْآتِي
 لِهَلَاكِ كُلِّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، لِيَنْقَرَضَ مِنْ صُورَ وَصَيْدُونَ كُلَّ بَقِيَّةِ
 تُعَيْنَ، لِأَنَّ الرَّبَّ يَهْلِكُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، بَقِيَّةَ جَزِيرَةِ كَفْتُورَ آتَى الصَّلْعُ
 عَلَى غَزَّةَ. أَهْلَكْتَ أَشْقَلُونَ. . .).

ارميا ٢٥:٢٧

" هَكَذَا قَالَ لِي الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: "خُذْ كَأْسَ خَمْرٍ هَذَا السَّخَطِ
 مِنْ يَدَيَّ، وَاسْقِ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ أَرْسَلْتُكَ أَنَا إِلَيْهِمْ إِيَّاهَا
 فَيَشْرَبُوا وَيَتَرَنِّحُوا وَيَتَجَنَّنُوا. . . فَأَخَذْتُ الْكَأْسَ مِنْ يَدِ الرَّبِّ
 وَسَقَيْتُ كُلَّ الشُّعُوبِ الَّذِينَ أَرْسَلَنِي الرَّبُّ إِلَيْهِمْ: أُورُشَلِيمَ وَمُدْنَ
 يَهُودَا وَمَلُوكَهَا وَرُؤَسَاءَهَا وَفِرْعُونَ مَلِكَ مِصْرَ وَعَيْبِدَهُ وَرُؤَسَاءَهُ
 وَكُلَّ شَعْبِهِ. . . وَكُلَّ مُلُوكِ أَرْضِ فِلِسْطِينَ وَأَشْقَلُونَ وَغَزَّةَ وَعَقْرُونَ
 وَبَقِيَّةَ أَشْدُودَ. . . وَكُلَّ مُلُوكِ الْعَرَبِ. . . وَكُلَّ مَمَالِكِ الْأَرْضِ الَّتِي
 عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. . . وَتَقُولُ لَهُمْ: "هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلَهُ
 إِسْرَائِيلَ: اشْرَبُوا وَاسْكُرُوا وَتَقَيَّأُوا وَاسْقُطُوا وَلَا تَقُومُوا".

عاموس ١:٦-٧

" مِنْ أَجْلِ ذُنُوبِ غَزَّةَ الثَّلَاثَةِ وَالْأَرْبَعَةِ لَا أَرْجِعُ عَنْهُ، لِأَنَّهُمْ سَبَوْا
سَبِيًّا كَامِلًا لِيَكِي يَسْلَمُوهُ إِلَى أَدُومَ. فَأَرْسَلُ نَارًا عَلَى سُورِ غَزَّةَ فَتَأْكُلُ
فُصُورَهَا. وَأَقْطَعُ السَّاكِنِينَ مِنْ أَشْدُودَ، وَمَأْسِكَ الْقَضِيْبِ مِنْ
أَشْقَلُونَ، وَأَرْدُ يَدِي عَلَى عَقْرُونَ، فَتَهْلِكُ بَقِيَّةُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ".

صفنيا ٢:١-٦

" تَجَمَّعِي وَاجْتَمِعِي يَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ غَيْرِ الْمُسْتَحِيَةِ قَبْلَ وِلَادَةِ
الْقَضَاءِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ حَمُومٌ غَضَبِ الرَّبِّ. أَنْ غَزَّةَ تَكُونُ
مَتْرُوكَةً، وَأَشْقَلُونَ لِلْخَرَابِ. أَشْدُودُ عِنْدَ الظَّهْرِ يَطْرُدُونَهُ، وَعَقْرُونَ
تُسْتَأْصَلُ. وَيَلُّ لِسُكَّانِ سَاحِلِ الْبَحْرِ أُمَّةِ الْكِرِيْتِيِّينَ. كَلِمَةُ الرَّبِّ
عَلَيْكُمْ. يَا كَنْعَانَ أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، إِنِّي أَخْرَبُكَ بِلَا سَاكِنِينَ".

زكريا ٩:٣-٦

" وَقَدْ بَنَتْ صُورٌ حِصْنَاً لِنَفْسِهَا، وَكَوَّمتِ الْفِضَّةَ كَالْتَرَابِ وَالذَّهَبَ
كَطِينِ الْأَسْوَاقِ. هُوَذَا السَّيْدُ يَمْتَلِكُهَا وَيَضْرِبُ فِي الْبَحْرِ قُوْتَهَا، وَهِيَ

تُؤْكَلُ بِالنَّارِ. تَرَى أَشْقَلُونَ فَتَخَافُ، وَغَزَّةٌ فَتَتَوَجَّعُ جِدًّا، وَعَقْرُونَ.
لأنَّه يُخْزِيهَا انْتِظَارُهَا، وَالْمَلِكُ يَبِيدُ مِنْ غَزَّةٍ، وَأَشْقَلُونَ لَا تُسْكَنُ،
وَيَسْكَنُ فِي أَشْدُودِ زَنِيمٍ، وَأَقْطَعُ كِبْرِيَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ."

ولكن الغلبة كانت في النهاية للفلسطينيين.

عسقلان الفلسطينية

إن عسقلان، إحدى المدن الفلسطينية الخمسة، التي كانت تارة تخضع للحكم الفرعوني، وتارة تثور فتستقل. حتى إن فرعون مصر الشهير رعمسيس الثالث اضطر - بعد كفاح طويل - إلى مسالمة الفلسطينيين الثائرين. فأقاموا في مدنهم الحصينة، وصانوا الأمن والنظام باسم مصر. وأخيرا خلعوا نير الحكم الفرعوني، واستقلوا استقلالاً تاماً، وأنشأوا اتحاداً حكومياً: قوامه غزة وعسقلان وأسدود وعافر وجات. ولقد اكتشف المنقبون الأمكنة القديمة التي أنشئت فوقها المدن الأربعة الأولى. وأجمعوا كلهم على أنها كانت تقوم في أماكنها الحالية مع شيء قليل من الانحراف في بعض الحالات. إلا جات، فإنهم لم يجمعوا الرأي في صدها بعد. ولكن الرأي السائد في يومنا هذا، أنها كانت في نفس المكان الذي يقوم فوقه ذلك التل، القريب من قرية عراق المنشية من أعمال غزة.

ولقد كانت عسقلان، من أهم المدن الفلسطينية المتقدم ذكرها. لا، بل كانت تفوق غزة، من حيث الأهمية الحربية في بعض الأحيان، لوقوعها على الشاطئ، واتصالها بالبحر مباشرة. وهناك من يعتقد أن الفلسطينيين الذين أنشأوا اتحادهم الحكومي في

مدنهم الخمسة، كانوا - عندما يعتريهم ضعف، أو يهاجمهم خصم قوي - يعززون قواهم بالمهاجرين، الذين يفدون إليهم من كريت، عن طريق البحر وثمر عسقلان.

وهناك ما يدل على أن سلطان هذا الاتحاد، كان يمتد من جنوب عكا إلى عريش مصر. أي إن مساحة أراضيهم في زمن الاتحاد، أوسع مما كانت عليه في عهد الفراعنة والكنعانيين الذين سبقوهم. ولقد أخضعوا بني إسرائيل أيضا، وأدخلوهم تحت طاعتهم؛ فجمعوا منهم الضرائب، وأنفقوها في سبيل مصالحهم، ومن أجل تقوية مرافقهم.

ولكن الخصام بين الفريقين: الفلسطينيين وبني إسرائيل، كان متواصلًا. فقد كانوا في حالة احتراب لا نهاية لها. وكانت دفعة الفلسطينيين في أغلب الأحيان هي الراجعة. إذ كانوا مسلحين، وكانوا من الاتحاد والتنظيم على جانب عظيم. وأما بنو إسرائيل فقد كانوا أكثر عددًا من الفلسطينيين في ذلك الحين. ولكنهم كانوا

في الوقت نفسه أقل تنظيمًا، وأقل اتحادًا؛ ولهذا لم يسودوا، بل كان الفلسطينيون سادة الموقف. وكانوا عادلين، لم يستبدوا رغم تسلحهم وقدرتهم واتحادهم. ولقد اتصف حكامهم بالعدل والمنطق وحسن الإدارة. ولم يطمعوا بالتوسع والاستعمار.

ولم يكن الفلسطينيون في زمن من الأزمان متحدين، مثلما كانوا في زمن شمشون الجبار. وقصة شمشون مع الفلسطينيين أشهر من أن تذكر. تلك القصة التي حدثت وقائعها خلال القرن الحادي عشر قبل الميلاد. فاسمع ما قيل عنها في الأصحاح الرابع عشر من سفر القضاة:

قضاة ١٤-١: ٢٠

" وَنَزَلَ شَمْشُونُ إِلَى تَمَنَّةَ، وَرَأَى امْرَأَةً فِي تَمَنَّةَ مِنْ بَنَاتِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. فَصَعِدَ وَأَخْبَرَ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَقَالَ: «قَدْ رَأَيْتُ امْرَأَةً فِي تَمَنَّةَ مِنْ بَنَاتِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، فَالآنَ خُذَاهَا لِي امْرَأَةً. فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ وَأُمَّهُ: «أَلَيْسَ فِي بَنَاتِ إِخْوَتِكَ وَفِي كُلِّ شَعْبِي امْرَأَةٌ حَتَّى أَنْتَ دَاهِبٌ لِتَأْخُذَ امْرَأَةً مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ الْغُلْفِ؟» فَقَالَ شَمْشُونُ لِأَبِيهِ: «إِيَّاهَا خُذْ لِي لِأَنَّهَا حَسَنَتْ فِي عَيْنِي. وَكَمْ يَعْلَمُ أَبُوهُ وَأُمَّهُ أَنَّ

ذَلِكَ مِنَ الرَّبِّ، لِأَنَّهُ كَانَ يَطْلُبُ عَلَيْهِ عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّينَ. وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ مُتَسَلِّطِينَ عَلَى إِسْرَائِيلَ.

فَنَزَلَ شَمْشُونُ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ إِلَى تَمَنَّةَ، وَاتَّوَا إِلَى كُرُومِ تَمَنَّةَ. وَإِذَا بِشَبَلِ أَسَدٍ يُزْمَجِرُ لِلِقَائِهِ فَحَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، فَشَقَّهُ كَشَقِّ الْجَدْيِ، وَلَيْسَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ. وَلَمْ يُخْرِ أَبَاهُ وَأُمُّهُ مِمَّا فَعَلَ. فَنَزَلَ وَكَلَّمَ الْمَرْأَةَ فَحَسَنْتْ فِي عَيْنِي شَمْشُونُ. وَلَمَّا رَجَعَ بَعْدَ أَيَّامٍ لِكِي يَأْخُذَهَا، مَالَ لِكِي يَرَى رِمَّةَ الْأَسَدِ، وَإِذَا دَبْرٌ مِنَ النَّحْلِ فِي جَوْفِ الْأَسَدِ مَعَ عَسَلٍ فَاشْتَارَ مِنْهُ عَلَى كَفْمِيهِ، وَكَانَ يَمْشِي وَيَأْكُلُ، وَذَهَبَ إِلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَأَعْطَاهُمَا فَأَكَلَا، وَلَمْ يُخْبِرْهُمَا أَنَّهُ مِنْ جَوْفِ الْأَسَدِ اشْتَارَ الْعَسَلَ.

وَنَزَلَ أَبُوهُ إِلَى الْمَرْأَةِ، فَعَمِلَ هُنَاكَ شَمْشُونُ وَلِيْمَةً، لِأَنَّهُ هَكَذَا كَانَ يَفْعَلُ الْفِتْيَانُ. فَلَمَّا رَأَوْهُ أَحْضَرُوا ثَلَاثِينَ مِنَ الْأَصْحَابِ، فَكَانُوا مَعَهُ. فَقَالَ لَهُمْ شَمْشُونُ: "لأَحَاجِيْنِكُمْ أَحْجِيَّةً، فَإِذَا حَلَلْتُمُوهَا لِي فِي سَبْعَةِ أَيَّامِ الْوَلِيْمَةِ وَأَصْبْتُمُوهَا، أُعْطِيكُمْ ثَلَاثِينَ قَمِيصًا وَثَلَاثِينَ حُلَّةً ثِيَابٍ." وَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَحْلُوهَا لِي، تُعْطُونِي أَنْتُمْ ثَلَاثِينَ قَمِيصًا وَثَلَاثِينَ حُلَّةً ثِيَابٍ. فَقَالُوا لَهُ: حَاجِ أَحْجِيَّتَكَ فَنَسْمَعَهَا. "فَقَالَ لَهُمْ: "مِنَ الْآكِلِ خَرَجَ أَكْلٌ، وَمِنَ الْجَافِي خَرَجَتْ حَلَاوَةٌ".

فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَحْلُوا الْأُحْجِيَّةَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. "وَكَانَ فِي الْيَوْمِ
السَّابِعِ أَنَّهُمْ قَالُوا لَامْرَأَةٍ شَمْشُونَ: "تَمَلَّقِي رَجُلِكَ لِكَيْ يُظْهَرَ لَنَا
الْأُحْجِيَّةَ، لِئَلَّا نُحْرِقَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ بِنَارٍ. أَلْتَسْلُبُونَا دَعْوَمُونَا أَمْ لَا؟"
فَبَكَتِ امْرَأَةُ شَمْشُونَ لَدَيْهِ وَقَالَتْ: "إِنَّمَا كَرِهْتَنِي وَلَا تُحِبَّنِي. قَدْ
حَاجَيْتَ بَنِي شَعْبِي أُحْجِيَّةً وَإِيَّايَ لَمْ تُخْبِرْ". فَقَالَ لَهَا: هُوَذَا أَبِي
وَأُمِّي لَمْ أُخْبِرْهُمَا، فَهَلْ إِيَّاكَ أُخْبِرُ؟ فَبَكَتْ لَدَيْهِ السَّبْعَةَ الْأَيَّامَ الَّتِي
فِيهَا كَانَتْ لَهُمْ الْوَلِيمَةُ. وَكَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَنَّهُ أُخْبِرَهَا لِأَنَّهَا
صَافَقَتْهُ، فَأَظْهَرَتْ الْأُحْجِيَّةَ لِبَنِي شَعْبِهَا، فَقَالَ لَهُ رَجَالُ الْمَدِينَةِ فِي
الْيَوْمِ السَّابِعِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ: "أَيُّ شَيْءٍ أَحَلَّى مِنَ الْعَسَلِ، وَمَا
أَجْفَى مِنَ الْأَسَدِ؟" فَقَالَ لَهُمْ: "لَوْ لَمْ تَحْرُثُوا عَلَيَّ عِجْلَتِي، لَمَا
وَجَدْتُمْ أُحْجِيَّتِي. وَحَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ فَنَزَلَ إِلَى أَشْقَلُونَ وَقَتَلَ
مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا، وَأَخَذَ سَلْبَهُمْ وَأَعْطَى الْحُلَلَ لِمُظْهِرِي الْأُحْجِيَّةِ.
وَحَمِيَ غَضَبُهُ وَصَعَدَ إِلَى بَيْتِ أَبِيهِ، فَصَارَتْ امْرَأَةُ شَمْشُونَ
لِصَاحِبِهِ الَّذِي كَانَ يُصَاحِبُهُ.

عسقلان في زمن

الأشوريين

اجتاحتها الأشوريون كما اجتاحتوا جاراتها، في زمن (سرجون) و(سنخريب) وذاقت من جراء اجتياحهم الآلام. وقد جاء في الموسوعة البريطانية أن أول من أخضعها منهم، هو سنخريب Sennacherib وكان ذلك في عام ٧٠١ ق. م.

عسقلان والفتح اليوناني

فتحتها الإسكندر عام ٣٣٢ ق. م فأصبحت مدينة هيلينية، وفي زمن أحفاده كانت تتناقلها أيدي البطالسة والسلوقيين. فكانت تخضع تارة لسوريا وأخرى لمصر، الأمر الذي ذكرناه بشيء من الإسهاب في (تاريخ غزة).

ولقد عُرِفَ البطالسة باحترام عادات البلاد وتقاليدها؛ ولذلك لم يتدخلوا في شؤونهم الخاصة، غير أنهم أثقلوا كاهلهم بالضرائب. وقد انتدب بطليموس رجلاً يهودياً يدعى (يوسف بن طوبياس) مديراً للمال ورئيساً للجباة في سوريا والبلاد الفينيقية، وعلى قول المؤرخ يوسيفوس إن هذا التزم جباية الضرائب من هذه البلاد التزاماً. وأنه خُوِّلَ - بناء على طلبه - سلطة واسعة وأُرفِقَ بعدد كبير من الجند (٢٢٢-٢٠٦ ق. م). فطغى وتجر، وذاق أهل البلاد

من ظلمه ما لا يُقدَّر. ولقد ذكرنا في (تاريخ غزة) أن أهالي غزة قاوموه، فقتل وقطع رؤوس البعض منهم.

وكذلك فعل بعسقلان، إذ قاومته هذه مقاومة شديدة، ورفضت أن تدفع إليه المبالغ التي طلبها منها، فقبض إثر ذلك على ما يقرب من عشرين رجلاً من رجالها وأصحاب الكلمة النافذة فيها؛ وذبحهم وصادر أموالهم وأملاكهم؛ وأرسل ذلك كله إلى الملك، وأخبره بما فعل. فسّر الملك لهذا الخبر وأرسل إليه رسالة أطرى فيها فعاله. ومنحه حرية واسعة كي يفعل ما يشاء. وكان لما فعله في عسقلان صدى بعيد الأثر في المدن السورية. إذ فتحت له هذه أبوابها، ودفعت له الأموال التي طلبها من غير تردد. فأثرى يوسف وأرسل قسماً من غنائه إلى الملك بطليموس وإلى زوجته كليوباترا، وإلى أصدقائه الكثيرين، وإلى رجال الحكم في البلاط؛ فاشتري بذلك ضمائرهم ومهد السبل لإشباع مطامعه.

عسقلان في عهد الرومان

اشتهرت عسقلان في زمن الرومان أيضاً، فقد امتلكها هيروتس، وكانت هي البلد التي ولد فيها، وكانت يومئذ مليئة بالأعمدة،

وكانت قائمة في نفس المكان الذي احتلته بعدئذ في الحروب الصليبية. وليس ثمة أي دليل على أن ذلك المكان كان غير المكان الذي احتلته في زمن الفلسطينيين القدماء.

ولقد تمكنت عسقلان، في عهد الرومان، من الحصول على حماية روما؛ فتمتعت بحرية واسعة لم تتمتع بها المدن الأخرى. وظلت من سنة ١٠٤ ق. م. إلى ما بعد ذلك بأربعة قرون ونصف قرن تعتبر Oppidum Liberum تحت الامبراطورية الرومانية. ولقد نشطت في ميادين التجارة، وأصبحت مركز الثقافة الهيلينية مزدهرة، ونبغ فيها عدد من الفلاسفة وعلماء المنطق والكلام أكثر من أي مكان. وكان فيها مجلس أعيان، وأنشئت فيها دار ضخمة اتخذت مقراً لهذا المجلس. وكان حولها سور يظهر أنه بني في عهد البيزنطيين. وهذا السور البيزنطي، بني على آثار السور القديم الذي أنشئ في آخر العصر البرونزي وكان فيها حصن وأبراج في زوايا الحصن. وقد عثر المستر غارستنغ الذي قام بالبحث والتنقيب هناك، على أعمدة وتماثيل ترجع إلى ذلك العهد.

ولقد أصبحت عسقلان في العهد البيزنطي (بيزنطية) بحتة، فخضعت للقسطنطينية، وكانت يومئذ وثنية، ولكن يظهر أنها تنصرت قبل غزة، وأصبحت مركزاً لأسقفية هامة، وإليك حكاية الأسقف (برفيريوس) الذي صارع الوثنيين وهدم هياكلهم في ذلك الحين:

أرسل شماسه (مرقس) إلى القسطنطينية، فاستحصل هذا على أمر من السلطات العليا كي تغلق جميع المعابد الوثنية في غزة (٣٩٨م). واستعان على ذلك بكتيبة من رجال الدرك المسيحيين جاؤوا لتنفيذ الأمر من عسقلان بقيادة ضابطهم (هيلاريوس).

فجاء هذا ونفذ الأمر شكلاً، فبلغه إلى الوثنيين طالبا منهم إغلاق معابدهم، ومحرمًا عليهم عبادة الأصنام. ولكن هذا الأمر ظل حبراً على ورق. فقد ظلت المعابد قائمة وعبادة الأوثان جارية تارة جهراً، وطوراً بالخفاء. وقد قيل يومئذ إن هيلاريوس هذا قبض من الوثنيين مبلغاً كبيراً من الذهب لقاء تساهله هذا.

وظلت الحال على هذا المنوال، إلى أن سافر الأسقف برفيريوس بنفسه إلى القسطنطينية (٤٠١م)، واستحصل على أمر من

الإمبراطور، بمساعدة الإمبراطورة ألدوكسية؛ فتم له ما أراد، وقضى على الوثنية في غزة وعسقلان، وفيما يتبعهما من البلدان، الأمر الذي ذكرناه بالتفصيل في كتابنا (تاريخ غزة) فليرجع إليه من شاء.

وهناك تقويم خاص بعسقلان يدعى (التقويم العسقلاني)، وهذا التقويم ذو صلة وثيقة بعسقلان ووقائعها، كما هي الحال في التقاويم الأخرى: كالتقويم الهجري، والتقويم الميلادي، والتقويم الشرقي، والتقويم القبطي، والتقويم اليهودي، وما إلى ذلك.

والتقويم العسقلاني مشابه كل الشبه للتقويم الغزي من حيث عدد الأشهر والأيام، وأسماء الشهور وتعاقبها. غير أن هنالك فرقين بينهما¹: الأول أن السنة الغزية تبدأ حوالي سنة ٦٠ قبل الميلاد، والسنة العسقلانية تبدأ في ١٠٤ بعد الميلاد. والثاني أن السنة الغزية تبدأ في اليوم الأول من شهر ديوس (٢٨ أكتوبر) بينما السنة العسقلانية تبدأ في اليوم الأول من شهر هيبير بريتايوس (٢٨ سبتمبر).

¹ "Archeological Researches in Palestine" by Charles Clermont Ganneau.

وإليك أسماء الأشهر العسقلانية وعددها، وعدد الأيام في كل شهر ومبدأها:

ترتيب الشهور	عدد أيام الشهر	أسماء الشهور	بداية كل شهر بالتاريخ الميلادي
الشهر الأول	٣٠	هيبير بريتابوس Hyperberetaceos	٢٨ سبتمبر
الشهر الثاني	٣٠	ديوس Dios	٢٨ أكتوبر
الشهر الثالث	٣٠	ابيلوليس Apellaeos	٢٧ نوفمبر
الشهر الرابع	٣٠	اودينويس Audynaeos	٢٧ ديسمبر
الشهر الخامس	٣٠	بيريتيوس Peritios	٢٦ يناير

٢٥ فبراير	يستروس Dystros	٣٠	الشهر السادس
٢٧ مارس	كسدانتيكوس Xanthikos	٣٠	الشهر السابع
٢٦ ابريل	ارتيميذوس Artemisios	٣٠	الشهر الثامن
٢٦ مايو	ديسيوس Daesios	٣٠	الشهر التاسع
٢٥ يونيو	بانبموس Panemos	٣٠	الشهر العاشر
٢٥ يوليو	لوئوس Lōes	٣٠	الشهر الحادي عشر
٢٩ غستوس	غورببوس Gorpieaos	٣٠	الشهر الثاني عشر

وظلت عسقلان مسيحية حتى الفتح الإسلامي (٦٣٦ م). إذ
انتقلت حينئذ إلى أيدي العرب وبقيت عربية إسلامية إلى يومنا
هذا.

عسقلان والفتح الإسلامي

احتلتها العرب عام ٦٣٦ م. وقد أخذوها من الروم (البيزنطيين) واشتهرت على عهدهم، وقد جاء في الحديث النبوي: "طوبى لمن سكن إحدى العروسين: غزة وعسقلان!" وكان العرب يحبونها، ويسمونها عروس سوريا!

ولما قتل الحسين بن علي (رضي الله عنه) حمل قاتلوه رأسه إلى عسقلان، ومنها نقلوها إلى مصر. ومن قائل إنهم قصدوا بها مصر، وفي طريقهم إليها عرجوا على عسقلان. وهناك من يعتقد أن الرأس ظلت في عسقلان ردحا من الزمن. ويقول ابن إياس في كتابه (تاريخ مصر^١) إن رأس الحسين نقلت من عسقلان إلى القاهرة في أيام خلافة الفائز بنصر الله ابن الظافر بن الحافظ بن المستنصر^٢، وإن ذلك حدث سنة ٥٤٩ للهجرة.

ويعزو ابن إياس ذلك إلى أن رأس الحسين كانت بعسقلان، فلما تولى الفرنج عليها، خاف المسلمون على الرأس، فأحضروها إلى القاهرة في علبة؛ وبنى لها الفائز مشهدا دفنها به. وقد قيل إنها نقلت إلى ثلاثة أماكن قبل أن تحضر إلى القاهرة ممدة.

^١ راجع الجزء الأول ص ٦٧.

^٢ إنه العاشر من خلفاء بني عبيد الله الفاطميين.

وللحسين مقام في عسقلان يسميه الناس في يومنا هذا (مشهد الحسين). وله عيد يقام في كل سنة. ويؤمه الناس خلال أيام العيد من كل صوب. وبالقرب من المقام واد يسمونه (وادي النمل) ويقولون إنه هو الذي ذكر في القرآن.

ذكرها ابن بطوطة في كتابه (غرائب الأسفار في عجائب الأمصار)، فقال:

"ثم سافرت من القدس الشريف برسم زيارة ثغر عسقلان، وهو خراب قد عاد رسوما طامسة وأطلالا دارسة. وَقَلَّ بَلَدٌ جَمَعَ من المحاسن ما جمعته عسقلان: إتقان وحسن وضع وأصالة مكان؛ وجمع بين مرافق البر والبحر. وبها المشهد الشهير، حيث كان رأس الحسين بن علي (عليه السلام) قبل أن ينقل إلى القاهرة. وهو مسجد عظيم سامي العلو، فيه جب للماء، أمر ببنائه بعض العبيديين (وكتب ذلك على بابه). وفي قبلة هذا المزار مسجد كبير يعرف بمسجد عمر، لم يبق منه إلا حيطانه، وفيه أساطين رخام لا مثيل لها في الحسن، وهي ما بين قام وحصيد. ومن جملتها أسطوانة حمراء عجيبة، يزعم الناس أن النصارى احتملوها إلى

بلادهم ثم فقدوها، فوجدت في موضعها بعسقلان. وفي القبلة من هذا المسجد بئر تعرف ببئر إبراهيم (عليه السلام) ينزل إليها في درج متسعة، ويدخل منها إلى بيوت في وسط عسقلان. وفي كل جهة من جهاتها الأربع عين تخرج من أسراب مطوية بالحجارة. وماؤها عذب وليس بالغزير. ويذكر الناس من فضائلها كثيرا. وبظاهر عسقلان وادي النمل، ويقال: إنه المذكور في الكتاب العزيز. وبجبانة عسقلان من قبور الشهداء والأولياء ما لا يحصر لكثرتة؛ أوقفنا عليهم قيم المزار المذكور. وله جراية يجريها له ملك مصر، مع ما يصل إليه من صدقات الزوار".

ويظهر أن عسقلان احتفظت بشهرتها في العهد الإسلامي، وظلت محتفظة به حتى الحروب الصليبية، ولقد نبغ فيها، ولا سيما على عهد صلاح الدين، عدد كبير من الأدباء والعلماء، ولئن ضاق كتابنا هذا عن ذكرهم كلهم فإننا لا نرى مندوحة عن ذكر زعيمها الفاضل عبد الرحيم بن علي اللخمي العسقلاني، وإليك نبذة مختصرة من تاريخ حياته:

إنه القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي العسقلاني مولدا، أبو علي محي الدين، مات في سابع ربيع الآخر من سنة ٥٩٦ هـ.

قال ابن خلكان عنه: وزير القاضي الفاضل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وتمكن منه غاية التمكن. وبرز في صناعة الإنشاء، وفاق المتقدمين وله في الغرائب مع الإكثار. أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله - في المجلدات والتعليقات في الأوراق - إذا جمعت ما تقصر عن مائة، وهو مجيد في أكثرها. وقال عبد اللطيف البغدادي: دخلنا عليه فرأيت شيئا ضئيلا، كله رأس وقلب، وهو يكتب ويملي على اثنين، وكأنه يكتب بجملة أعضائه. وكان له غرام في الكتابة وتحصيل الكتب، وكان له الدين والعفاف والتقوى، والمواظبة على أورد الليل، والصيام وقراءة القرآن. وكان قليل اللذات، كثير الحسنات، دائم التهجد، ويشغل بعلم الأدب وتفسير القرآن. غير أنه كان خفيف البضاعة من النحو، ولكن قوة الدراية توجب له قوة اللحن. وكان لا يكاد يضيع من زمانه شيء إلا في طاعة، وكتب في الإنشاء ما لم يكتبه غيره. . . ."

عسقلان والحروب

الصلبية

كانت عسقلان في عهد الصليبيين مدينة محصنة تحصينا تاما. وكانت محط قتال واصطدام بينهم وبين صلاح الدين: وكان هؤلاء يسمونها عسقلون Escalonne وعسقلون Ascalon وسنقلونا Scalona وكانت تارة تقع بيد المسلمين، وأخرى بيد الصليبيين؛ ذلك لأنها واقعة على شاطئ البحر، وعلى الدرب الذي يربط مصر بسوريا، وكانت تعتبر يومئذ مفتاح القسم الجنوبي الغربي لفلسطين، وقد ارتقت إلى ذروة المجد في ذلك العهد، لا بل أستطيع القول إنها كانت أكثر أهمية من غزة؛ ذلك لأنها واقعة على الشاطئ بالتمام، بينما كانت غزة على بعد ميلين منه، وكانت للفريقين: المسلمين والصليبيين، أساطيل ترسو على شاطئ عسقلان. وعندما يحتلها المسلمون وينظمون أمورهم فيها، كانوا يخرجون من دور الدفاع إلى طور الهجوم. وكثيرا ما وصل جندهم المرابط في عسقلان إلى أسوار بيت المقدس. وقصارى القول، كانت عسقلان أثناء الحملات الصليبية، المخفر الأمامي للمسلمين، تجاه الرملة التي كانت المخفر الأمامي للصليبيين. ولما سقطت بأيدي الصليبيين حصونها، فأصبحت هي مخفرهم الأمامي، ولم يكتفوا بتحسينها، بل اتخذوها مقرا لحركات جيوشهم، وفيها بنوا مرة

عددا من السفن الحربية، نقلوها براً وعلى ظهور الإبل، إلى الطرف الشمالي الغربي من خليج العقبة، ليحاربوا المسلمين الذين كانت لهم السيادة على البحر الأحمر. هذه خلاصة لا بد من إتباعها بشيء من التفصيل، فنقول:

عندما افتتح الصليبيون- القدس (١٠٩٩م / ٤٩٢هـ)، وأخذوها من يد الخليفة الفاطمي المستعلي، ساروا لفتح مصر، فاحتلوا بيت جبرين وكانوا يظنونها بئر السبع، واتخذوها مقراً لحركاتهم الحربية ضد عسقلان التي كانت يومئذ محصنة تحصينا تاما. ثم تقدمت جيوشهم إلى عسقلان، ولكنهم ارتدوا عند أسوارها. إذ ناضل المسلمون عنها نضال الأبطال، وقد كانوا يومئذ تحت قيادة (سعد الدولة). ويقال إنه سقط في تلك الموقعة ما لا يقل عن ثلاثين ألفا تحت سور عسقلان.

ثم أعاد الصليبيون الكرة وحاصروا عسقلان مرة أخرى. وكان ذلك في عام (١١٥٥م / ٥٤٨هـ). وكانت لا تزال من أعمال الفاطميين، ولقد تمكنوا من الاستيلاء عليها بعد حصار دام ستة شهور، كما استولوا على جميع الشواطئ، بسبب انهماك الخليفة الفاطمي،

الظافر بن الحافظ بشهواته في مصر، وكان قائد الصليبيين في هذه المعركة بلدوين الثالث Baldwin III.

وانحطت مصر في زمن الخليفة (الفائز بنصر الله) في مهاوي الضعف (١١٦٢م / ٥٥٥ هـ) حتى أنه كان يؤدي الأموال الطائلة للصليبيين، ترضية لهم، على أمل أن يتوقفوا عن غزو مصر، ويقفوا عند عسقلان؛ ولكنهم بعد حين اجتازوا الحدود، ودخلوا مصر.

ويقال إن رأس الحسين نقلت من عسقلان إلى مصر في تلك الفترة من الزمن (١١٥٦م / ٥٤٩ هـ) خشية أن تقع في أيدي الصليبيين، وأن ذلك كان في زمن الخليفة الفائز بنصر الله هذا.

ثم مات الخليفة العاضد، وموته انتهت الدولة الفاطمية، واستولى صلاح الدين على الملك في مصر وسوريا، فأصبح العدو المباشر للصليبيين.

ففي سنة ٥٧٣ هـ خرج^١ السلطان صلاح الدين من القاهرة، لثلاث مئين من جمادى الأولى؛ لجهاد الفرنج. وسار إلى عسقلان (١١٨٠ م). فسبى وغنم وقتل وأسر. ثم مضى إلى الرملة، ولكنه وهو في

^١ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك. الجزء الأول ص ٩٥.

طريقه إليها، عند تل الصافي، التقى بجموعهم الكثيرة، وعلى
مقدمتهم البرنس أرنات Le Prince Rensurd de Chatillon
صاحب الكرك فانهزم المسلمون، وأكثرهم من الأكراد. وثبت
السلطان في طائفة، فقاتل قتالا شديداً. وفي رجوعهم إلى مصر
لاقوا الأهوال ومات منهم خلق كثير. ولما دخل القاهرة حلف ألا
تضرب له نوبة حتى يكسر الفرنج.

ظل السلطان صلاح الدين عشر سنوات يتأهب للانتقام، ويستعد
للوثوب على الفرنج ليخرجهم من البلاد، ولما أهلت سنة 583 هـ
وقد كان يومئذ في دمشق، أصدر أوامره بالزحف، فسار من
دمشق، وجاء العادل من القاهرة عن طريق العقبة، فالتحق به
واستولى على طبريا عنوة، ثم وقعت واقعة حطين المشهورة، فكان
النصر بجانبه، فأخذ الصليب، وأسر عدة ملوك. وضرب السلطان
بيده عنق البرنس أرنات الذي كان قد قهره في معركة تل الصافي.

ومن هناك سار إلى عكا فحاصرها، ثم فتحها عنوة، وقد كان فيها
يومئذ من الفرنج نحو خمسين ألفاً، ثم افتتحت عدة حصون
منها: الناصرة، وصفورية، وحيفا، وقيسارية. ثم أخذت سبسطية،

ونابلس، ويافا، وصور، وصيداء، وجبيل، وبيروت، فأنقذ في هذه الحروب ما يزيد عن عشرين ألفاً من المسلمين الذين كانوا في سوريا عند الفرنج، وأسر منهم مائة ألف أسير.

وبعد فتح بيروت، سار السلطان صلاح الدين إلى الرملة فاستولى عليها، ثم استولى على الخليل وبيت لحم، واجتمع بأخيه العادل، فنزلا عسقلان^١ في السادس عشر من جمادى الآخرة السنة ٥٨٣هـ ونصبا المجانيق عليها. ورغم أن ملك بيت المقدس ورئيس الداوية من الصليبيين، إلا أنهما نصحا أهل البلد من الفرنج بالتسليم سريعاً، فلم ينتصخوا حتى وقع الجد في القتال فتسلم السلطان البلد، وخرج منه الفرنج (١١٨٧م) إلى بيت المقدس، بعد أن ملكوه خمسة وثلاثين سنة، وقد تسلم السلطان حصون الداوية وهي: غزة، والقطرون بالقرب من الرملة، وبيت جبريل، وقدم عليه بظاهر عسقلان ابنه العزيز عثمان^٢ من مصر، ووافته

^١ كان السلطان قد وهب عسقلان إلى أخيه العادل. لكنه بعد مدة زارها (٥٨٤ هـ) فرأى من المصلحة أن ينتدب العادل لمعاونة الملك العزيز فأرسله إلى مصر وعوضه بالكرك عن عسقلان.

^٢ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك.

الأساطيل وعليها الحاجب لؤلؤ. وكانت الشمس قد كسفت قبل أخذ عسقلان بيوم، حتى أظلم الجو وظهرت الكواكب. ومن عسقلان سار السلطان - وقد اجتمعت إليه العساكر - لفتح بيت المقدس فافتتحها.

وفي سنة (١١٩١م / ٥٨٧هـ) قام الصليبيون يثأرون لأنفسهم من صلاح الدين، فامتلكوا عكا وأسروا من كان فيها من المسلمين، ثم ساروا إلى عسقلان وكانوا يومئذ بقيادة ريكاردوس قلب الأسد، وواقعهم في الرابع عشر من شعبان بارسوف، فانهمز المسلمون، ولكن صلاح الدين ثبت حتى أتته النجدة، فعاد إلى القتال؛ فنزل على عسقلان يريد تخريبها لعجزه عن حفظها. فرق أبراجها على الأمراء، ووقع الضجيج والبكاء في الناس أسفًا وغمًا لخرابها. وكانت من أحسن البلاد بناء، وأحكمها أسوارا، وأطيبها سكونا.

قال الحافظ عبد العظيم المنذري في المعجم المترجم: "سمعت الأمير الأجلّ أياز بن عبد الله - يعني أبا المنصور البانياسي الناصري - يقول: لما هدمنا عسقلان أعطيت أنا برج الداوية، وهدم خطلج برجا، وجد مكتوبا عليه (عمر على يدي خطلج).

وقد أخبرني القاضي الأجل أبو الحسن علي بن يحيى الكاتب قال:
رأيت بعسقلان برج الدم وخطلج المعزى يهدمه - يعني في
شعبان - ورأيت عليه مكتوبا: مما أمر بعمارته السيد الأجل أمير
الجيوش - يعني بدرا الجمالي - على يد عبده ووليه خطلج في
شعبان. فعجبت من هذا الاتفاق، كيف عمر في شعبان على يد
خطلج، وهدم في شعبان على يد خطلج!".

ثم رحل السلطان عن عسقلان وقد خربت في ثاني رمضان، ونزل
على الرملة فخرّب خصومها، وحصن القطرون. وكان بين المسلمين
والفرنج عدة وقائع في البر والبحر. فماد السلطان إلى القدس
وأخذ يعمر أسوارها ويحفر الخنادق، ويستعد للقتال.

بعد ذلك بسنة (١١٩٢م / ٥٨٨هـ) نزل الفرنج على ظاهر عسقلان
وحاولوا عمارتها؛ فأمكنوا، وواقعهم جماعة من الأسيديّة منهم
يازكح (أو يازكوح) وغيره، وتوالت الوقائع بينهم. ففي رجب من
سنة (٥٩٤هـ / ١١٩٨م) تجدد للعادل والعزير رأي في تخريب
عسقلان وتعفية جدرانها وهدم بنيانها. فانتدبا من القدس
جماعة لهذا العمل، جاؤوا إليها وخطموا أسوارها، وهدموا

أبراجها، وعلى هذا المنوال تلفت مدينة لا مثيل لها بين المدن،
وثغر لا نظير له في الثغور، وعمارة لا تخلف الأيام ما تلف منها.

وقد زاد في الطين بلة، أن أحفاد صلاح الدين، اختلفوا فيما بينهم
في قسمة البلاد التي ورثوها عن ذلك البطل المغوار. فقامت فتنة
بينهم (١٢٤٥م / ٦٤١هـ) كان من نتائجها أن خسر المسلمون
عسقلان، وخسروا معها طبريا والقدس. وإليك التفاصيل:

اتفق الناصر داود صاحب الكرك، مع الصالح إسماعيل صاحب
دمشق، على محاربة الصالح نجم الدين الذي سار من القاهرة إلى
دمشق، فخطب له يجامعها باسم السلطان الملك الصالح نجم
الدين أيوب. فتحالف الناصر داود، والصالح إسماعيل مع الفرنج،
ورضيا بأن يكونا عوناً لهم على الملك الصالح نجم الدين،
ووعداهم أن يسلموا إليهم القدس، وقد سلماهم طبريا وعسقلان.
فعمر الفرنج قلعتيهما وحصونهما، وتمكن الفرج من الصخرة
بالقدس وجلسوا فوقها بالخمير، وعلقوا الجرس على المسجد
الأقصى^١.

^١ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول ص ٣١٥.

استنجد الملك الصالح نجم الدين أيوب بالخوارزمية، يستدعيهم إلى ديار مصر لمحاربة أهل الشام والتقى القوم مع الخوارزمية بظاهر غزة. وقد رفع الفرنج الصلبان على عسكر دمشق، وفوق رأس المنصور صاحب حمص، والقساوسة تصلب، وبأيديهم أواني الخمر تسقي الفرسان. وكان في الميمنة الفرنج، وفي الميسرة عسكر الكرك، وفي القلب المنصور صاحب حماة. فحمل الخوارزمية والعساكر المصرية عليهم حملة شعواء، ودارت بين الفريقين حرب شديدة، كان النصر فيها حليف الخوارزمية وحلفائهم المصريين. وقتل من الفرنج وحلفائهم أهل الشام خلق كثير، قدرهم بعض المؤرخين ثلاثين ألفا. فازدانت القاهرة بأعلام النصر، ونكست أعلام الشام.

إن الانتصار الذي ناله الملك الصالح نجم الدين وعساكره المصريون وحلفاؤه الخوارزميون في معركة غزة جعلهم يفكرون في استرداد عسقلان لأهميتها الحربية؛ فسار الأمير بيبرس إليها وكان معه عدد من أمراء المسلمين، وحاصروها، ولكنها امتنعت عليهم لحصانتها.

وقد كان فيها يومئذ من أمراء الصليبيين، ريكاردوس اوف كورنوال
R. of Cornwall فحصنها هذا وشرع بناؤها من جديد. ولما
امتنعت على المسلمين رسموا خطة حربية للاستيلاء عليها مع
الزمن. وكان من شروط هذه الخطة أن يقوم الأمير بيبرس عليها
فأقام، ورحل سائر الأمراء إلى الأنحاء الأخرى فاحتلوا غزة
والسواحل والقدس والخليل وبيت جبريل ونابلس والأغوار
(١٢٤٦م/٦٤٢هـ).

ويظهر أن عسقلان ظلت بيد الفرنج حتى سنة (٦٤٤ هـ/
١٢٤٨م) إذ اعتزم الأمير فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ أن
يفتتحها، فسار إليها بعسكر جرار وحاصرها. وظل محاصرا لها
حتى أخذها من الفرنج، وهدم حصونها. وكان ذلك في زمن
السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وعلى قول إنه هو (أي
السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب) الذي أخذ عسقلان وأنه
أخذها عنوة وخربها، وأن ذلك جرى في يوم الخميس الثاني عشر
من جمادي الآخرة لسنة (٦٤٥هـ/١٢٤٩م).

وفي سنة (٦٦٩هـ / ١٢٧٠م) توجه السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، من القاهرة إلى عسقلان لهدم ما بقي منها؛ خوفاً من مجيء الفرنج إليها، فنزل عليها في الثامن من ربيع الأول، وهدم بنفسه ما بقي من حصونها وأسوارها، حتى سوى بها الأرض وسد مرفأها بالحجارة وعاد إلى مصر.

وفي الخامس من ربيع الأول سنة ٦٨٢ للهجرة (٣ يوليو ١٢٨٣م) عقدت الهدنة بين السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي العلّائي، وبين فرنج عكا الذين تتألف منهم مملكة بيت المقدس الصليبية، تلك المملكة التي كان يرأسها في تلك السنة ملك صقلية شارل الأنجوي Charles of Anjou وكانت مدة تلك الهدنة عشر سنين كوامل، وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات. وكان من شروطها أن جعلت عسقلان وأعمالها وموانئها وسواحلها من أملاك الملك المنصور قلاوون. واستولى المسلمون بموجب هذه الهدنة على جميع البلاد ما عدا حيفا وعكا وبعض الأديار.

عسقلان في عهد

الأتراك

يظهر أن عسقلان ظلت طولاً ينقع فوقها بوم الخراب إلى أن استولى عليها الأتراك في عهد السلطان سليم الأول الملقب (بياووز)، وأخذوها من المماليك، وكان ذلك في عام ١٥٠١م/ ٩٢٢هـ.

ولقد قامت على عهدهم، بجانب عسقلان التاريخية، قرية صغيرة سميت (الجورة) أو (جورة عسقلان). وجعلت تابعة لناحية المجدل التي اعتبرت من أعمال قضاء غزة، وفقدت ما كان لها من أهمية في التاريخ القديم، فلم تعد تعتبر من القلاع الحصينة أو الثغور التجارية؟

عسقلان والاحتلال الإنجليزي

احتل الإنجليز عسقلان في ٩ نوفمبر ١٩١٧م. وقد جاؤوا إليها عن طريقين: من الجنوب بمحاذاة الشاطئ، ومن الشرق باتجاه برير وحليقات. وكان الأسطول الإنجليزي مرابطاً في نفس الوقت تجاه عسقلان من البحر. وكان عدد أسلحته أربعين بين مدرعات وبوارج. وعندما سقطت برير، وسقطت من بعدها حليقات، وقد كانت هذه يومئذ المقر الرئيسي، الذي كان يدير منه القائد الألماني

الجنرال (كرس فون كرستشتاين) حركات الجيش التركي خرج عدد كبير من الأتراك الذين كانوا مرابطين في عسقلان إلى القتال، فالتحموا مع الجيش الإنجليزي، وقاتلوا فرقة المشاة اللندنية (رقم ٦٠) وفرقة الفرسان الأسترالية، وفرقة المشاة (رقم ٧٢)، وفرقة اللولندرس (رقم ٥٣). وكان الصراع بينهما عنيفا. وبعد أن كانت دفة الأتراك هي الراجحة، حتى أنهم ربحوا أربع معارك في يوم واحد، مالت الدفة إلى الجانب الآخر، بسبب وصول نجدات كبيرة. فغلب الأتراك على أمرهم وارتدوا إلى عسقلان.

ولم يكتثوا فيها سوى يومين، حتى اضطروا لتخليتها، فدخلها الإنجليز من غير حرب، وكان ذلك في ٩ نوفمبر ١٩١٧م. وعندما سقطت عسقلان بيد الإنجليز، أخذوا يشعرون بأنهم هم الظافرون، وأنهم هم المسيطرون على ميادين القتال. فهناك البحر على يسارهم، وجبال القدس على يمينهم. والأتراك أعداؤهم يولون الأدبار أمامهم. ولقد أسروا عدداً كبيراً من جنودهم.

وكان أول من دخل عسقلان من القواد البريطانيين البريجادير جنرال شارل فردريك قوقس^١ Brigadier-General Charles Fredrick Cox وهو قائد الآلاي الأول من الفيلق الواحد والعشرين الذي كان يقوده الجنرال شوفيل General Chauvel، وكان الجميع يعملون تحت إمرة القائد العام اللورد اللنبي الذي انتدب لافتتاح فلسطين.

^١ إنه أسترالي الأصل. ولد في Paramata عام ١٨٦٣م. وكان في صغره كسولا وعين كاتباً في السكك الحديدية. ثم تطوع في الجيش فأصبح ضابطاً ١٨٩٤م، واشترك في حروب البوير وأبدى بسالة. وكذلك فعل في الحرب الكبرى بفلسطين.

عسقلان في يومنا هذا

قرية صغيرة واقعة على شاطئ البحر، وعلى بعد ثلاثة أميال الجنوب الغربي من المجدل واثنى عشر ميلا للشمال من مدينة غزة، تدعى (الجورة) ويقولون لها (جورة عسقلان) أيضا. وهي واقعة في نفس المكان الذي كانت فيه عسقلان التاريخية في عهد الكنعانيين والفراعنة والفلسطينيين وغيرهم من المتقدمين. يقطنها في يومنا هذا ألفان ومئتان وخمسة وثمانون شخصا من السكان بين ذكور وإناث؛ جوها نقي، وماؤها عذب، وترتبتها خصبة للغاية.

عنبها مشهور، وكذلك قل عن خضارها، وفيها عدد كبير من أشجار الزيتون والأشجار المثمرة الأخرى.

أما سمكها فإنه مشهور في جميع أسواق فلسطين، وله أنواع كثيرة أهمها: البوري، والفريدين، والفنيار، والموسقار، والسرغوس، واللقز، والدهبان.

وأهل الجورة مولعون بصيد السمك منذ القديم، والجورة من أهم مراكز الصيد بفلسطين، لا يسبقها في هذا المضمار سوى حيفا.

وإنها لتفوق غزة، وحمامة، والنزلة، وجباليا، وهربيا، ودير البلح، والشيخ عجلين، وخان يونس وسائر مراكز الصيد من أعمال غزة الكائنة على شاطئ البحر المتوسط، فيها ٢٨٥ صيادا بينما لا يوجد في غزة أكثر من ٧٥ (عام ١٩٤٢م). وهناك ستون قاربا كبيراً لصيد السمك بينما لا يوجد في غزة أكثر من عشرين. ويعززون هذه الظاهرة إلى بحر الجورة، فإن مراعي السمك على شواطئه خصبة للغاية. وهذا المورد يأتي في الدرجة الأولى بين الموارد الاقتصادية المسيطرة على عسقلان وأهلها في هذه الأيام.

وأما العنب فإنه يأتي بالدرجة الثانية من حيث الأهمية، ولكنه في الدرجة الأولى من حيث الجودة، إنه مشهور بجودته لا في الجورة فحسب، ولا فيما جاورها من البلدان، وإنما في جميع أنحاء فلسطين، وكثير من الناس يؤثرونه على عنب وخليل الرحمن. إنهم يزرعونه على مساحات شاسعة تقدر بما لا يقل عن ٨٠٠٠ دونم. ويربحون من وراء الاتجار به أرباحا طائلة، وهو أنواع كثيرة أهمها الزراقي، والأصفر (وهو ما يسمونه في بعض الأحيان المرابي)، والشوباني، واليافاوي ومن خواصه أنه يحتمل السفر الطويل دون أن يلم به العطب؛ ذلك لأن قشرته غليظة بسبب

هواء البحر، حتى أنك إذا ما أردت أن تشتري عنبا من الكروم القريبة من شاطئ البحر طلبوا منك سعرا أعلى من السعر الذي يطلبونه عادة في الكروم البعيدة عنه.

وتأتي الخضار في الدرجة الثالثة من حيث الفائدة الاقتصادية؛ والخضار التي تزرع في الجورة مختلفة الأنواع منها: الفاصوليا، والبندورة، والكوسا، والباذنجان، والفلفل، والخيار، والجزر، ولئن نسينا فلا ننسى (البصل العسقلاني) فإنه مشهور لا في فلسطين فحسب، بل في أوروبا كلها، وشهرته هذه قديمة العهد. إذ كان الرومان يسمونه *Ascalonia Coepa* ومن هذه الكلمة اشتقت كلمة *scalogna* الإيطالية و *éhalotte* الفرنسية و *Shalot* الانجليزية.

ثم تأتي زراعة الحبوب، ولكن على مساحة ضيقة تكاد لا تتجاوز الألفين من الدونمات، وهذا لا يسد حاجة السكان، بل تراهم دوما في حاجة إلى كميات كبيرة من الحبوب يشترونها من القرى المجاورة.

ويريح الجوارنة مبالغ كبيرة من الفر. فقد حدثي المولعون بصيد هذا الطير أنهم ربحوا منه في هذا العام ثلاثة آلاف جنيه.

فيها ثلاثون بيارة مغروسة بالأثمار الحمضية، وقد عرفت الجورة هذا النوع من الأشجار قبل مائة عام، يوم أنشأ رجل مجدي يدعى (جراو) أول بيارة فيها، وكانت يومئذ تدار بالجمال، فاشتراها منه الشيخ حسن الأستاذ، ثم انتقلت إلى رجل من القدس يدعى سعيد تاج الدين الجاعوني، فاستعمل هذا حبلاً من حديد من أجل إخراج الماء وسقي الأشجار، ولم تدخل الماكينات الحديثة إلا قبل ثلاثين سنة بالوجه التقريبي.

فيها مدرسة حكومية ذات أربعة صفوف ابتدائية، يديرها أستاذان فقط، ويؤمها مئة وعشرون تلميذاً، وليس فيها كتاتيب أهلية.

فيها مسجد قديم، وليس فيها كنائس.

وسكانها كلهم مسلمون، مسالمون، طيبو القلب، وهم كرام، وأذكياء، وللنظافة عندهم مقام.

يعيشون في بيوت حجرية، وليست من طين كما هي الحال في أكثر القرى المجاورة؛ بناؤها متين، وقديم. ويظهر أن الكلس الذي كان الأقدمون يستعملونه في بناء دور الجورة ومنازلها أقوى من الإسمنت. وفي الجورة ما لا يقل عن خمسمئة بئر، لا، بل أكاد أقول إنه يوجد في كل دار بئر. وبعض هذه الآبار مهجور، وبعضها معمور.

ليس في الجورة خيول كثيرة، ولا غنم، وإنما فيها عدد كبير من الجمال يستخدمونها في نقل السمك والخضار والمنتجات الزراعية الأخرى إلى المدن والقرى المجاورة.

والجوارنة مجتهدون، وليسوا بمثقلين بالديون. إنهم متحدون، وقد أنشأوا (جمعية تعاونية) الغاية منها تنشيط الأعمال والمشاريع الزراعية. ولم يبيعوا شبراً من أراضيهم لا لليهود، ولا لغيرهم.

فيها مقام الحسين، ويظن البعض أن الحسين قد استشهد في هذا المكان، ودفن فيه؛ ولذلك يسمونه مشهد الحسين، مع أنه لا أصل لهذا الظن، كما أنه لا أصل للاعتقاد السائد بأن رأس الحسين

مدفونة هناك الآن. إذ إنه ثبت تاريخياً "أن رأس الحسين نقلت من عسقلان إلى القاهرة في زمن الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله. وأن ذلك حدث سنة ٥٤٩ للهجرة. إذ خيف عليها يومئذ من وقوعها بيد الصليبيين".

ومهما كان الأمر فإن سكان جورة عسقلان، والمجدل؛ لا، بل سكان قضاء غزة كلهم يشتركون في الاحتفال الشعبي الذي يقام في ذلك المقام مرة في كل عام. فتفد الوفود إليه من كل حدب، وتتسابق الخيل إليه من كل صوب، وتزف الرايات والأعلام برئاسة مشايخ الطرق المختلفة الذين ينسلون إليه من كل مكان.

وبالقرب من المقام واد يقال له وادي النمل، ويسمونه في بعض الأحيان وادي الدم؛ ذلك لأن المعركة التاريخية الهائلة التي نشبت بين الصليبيين وصلاح الدين من أجل امتلاك عسقلان نشبت، على ما يقال، في ذلك المكان، فراحت زيارته عادة بين السكان، وتطورت العادة فأصبحت عيداً قومياً.

^١ راجع تاريخ مصر لابن إياس.

وفي وادي النمل هذا مقام لرجل من المجاهدين يسمونه (الشيخ محمد العسقلاني). ويقولون إنه أبلى بلاءً حسناً في الحروب الصليبية التي أتينا على ذكرها في الأسطر المتقدمة، وبين مقامه هذا والبحر سرداب طويل يظهر أنه حفر أثناء حصار عسقلان.

وفي عسقلان كثير من الأبنية والآثار القديمة، وقد كانت هذه الأبنية في العصور الغابرة عامرة، لكنها هجرت فأصبحت طولاً ينعق فوقها بوم الخراب؛ ذلك لأنه كان من شروط الهدنة التي عقدت بين الصليبيين وصلاح الدين أن تدك قلاع عسقلان وحصونها التي كانت قائمة في ذلك الحين، فدكت ثم أصابها ما أصابها من هجر طويل، الأمر الذي قصناه عليك في موضع آخر.

وإنه لما يؤسف له، من وجهة علمية وأخرى تاريخية، أن الحصون وإن كانت قد دكت، والقلاع قد هجرت، والأعمدة الجميلة قد تبعثرت، إلا أنه كان يجب على الحكومات التي تعاقبت بعدئذ، أن تحتفظ بتلك الآثار، ليتمكن الأبناء من تتبع أبناء الآباء والأجداد. ولكن! هو الجهل يفعل ما يشاء، فلم يكن ثمرة أية رقابة من هذه الناحية، فراح السكان، وقد كانوا من

الجهل بمكان، ينشرون الحجارة والعمدان، والبلاط المصنوع من الرخام؛ ويبيعونها في أسواق غزة بالدرجة الأولى، وفي الرملة ويافا بالدرجة الثانية، وكثيرا ما كانت السفن ترسو على شواطئ الجورة لتتنقل منها آثار عسقلان، وعندما تغيب هذه كانوا يستخدمون الفلك تارة، والإبل أخرى، وإنك إذا ما غشيت منازل الوجوه والأعيان في هذه المدن وفي الجامع العمري الكبير بغزة، وجدت الشيء الكثير من البلاط والحجارة والأعمدة المتقدم ذكرها.

كان الجوارنة ينشرون البلاط بالمنشار، ويبيعونه تارة إلى أصحاب المنازل رأساً، وطورا إلى التجار، وقد جمع بعضهم من هذه الطريق أرباحا طائلة: لا، بل كانت أرباحهم منها أكثر من أرباحهم من صيد السمك والخضار ومن أي مورد آخر.

وازدادت الحال سوءاً من هذه الناحية في العهد التركي، ولم ينتبه الأتراك لها إلا في عهد السلطان رشاد. حيث حظروا على الجوارنة الدنو من الآثار، ونشرها، والاتجار بها.

وإنك لو اجد اليوم، أينما حللت وحيثما سرت في ذلك المكان، وبالأحرى في شقة من الأرض حول عسقلان قد لا تقل مساحتها

عن ثلاثة أميال، خرائب وآثار، تدلك على ما كانت عليه عسقلان،
من مجد في سالف الأزمان.

فهناك الحجارة الضخمة، والأعمدة الكبيرة، والبلاط المصنوع من
الرخام، وهناك النصب والتمائيل المصنوعة للقواد والرجال العظام
الذين سيطروا عليها في يوم من الأيام، وهناك التوابيت الحجرية،
والتوابيت المصنوعة من الرصاص. وكذلك قل عن المنازل والقصور
القديمة، والمصاغ والحلي التي عثر عليها الأهلون واشتراها
المنقبون، إنك إذا ما غشيت منزلا من منازل سكان الجورة، في
هذه الأيام، حدثوك عن عسقلان، وعمّا عثروا عليه بين طولها،
من حجارة كريمة وحلي وآثار.

وهناك في جنوب السور القديم، كرم كان لرجل من الجورة يدعى
(محمد عايش قباجه) وهو الآن من أملاك ورثة يوسف العلمي،
عثروا فيه على قبور وتوابيت من رصاص، ووجدوا في أحد هذه
التوابيت، ميتا عليه ثوب كله مصنوع من الذهب. وفي قبر من
هذه القبور، عثروا على كمية لا يستهان بها من الأقراط والخواتم
والحلي الذهبية، وقد بيعت هذه الحلي إلى تجار الآثار بغزة.

ويظهر من الآثار أن بوابة عسقلان، كانت في الناحية الجنوبية المحاذية للبحر، ومن هذه البوابة يمتد لسان طويل في البحر، يعتقد الباحثون أنه جانب من جوانب مرفئها القديم.

وقصارى القول إن آثار عسقلان لجديرة بالبحث والتنقيب. ومن المؤسف أنه لم يجر فيها حتى الآن تنقيب علمي على مقياس واسع. أجل، لقد قامت الليدي هستر ستانهوب Lady Hester Stanhope عام ١٨١٥م، بالتنقيب عن آثار عسقلان؛ واستخدمت لهذه الغاية، ما بين مائة ومائة وخمسين عاملاً؛ وظلت تعمل هناك بضعة أسابيع، ولكن عملها هذا لم يكن مستنداً على أساس علمي.

ومسحت بعثة البحث عن الآثار الفلسطينية Exploration The Palestine Fund مكان الآثار بعسقلان عام ١٩١٣م، ثم قامت (١٩٢٠-١٩٢٣) تبحث عن الآثار نفسها. وكان ذلك بنظارة كل من الأستاذين غارستنغ Garstang وفيزيان آدام Phythian Adams. فعثرت على أروقة هبرود الملك، وعلى القصر الملكي الذي ذكره المؤرخ الشهير بوسبفوس. كما عثرت على عدد من

التمثيل، وكذلك عثرت على كميات كبيرة من الفخار المبعثر هنا وهناك، وعلى بقايا مسرح بيزنطي، ثبت فيما بعد، أنه كان فيما مضى معدا لمجلس الأعيان، ثم جعل قاعة التمثيل. وعند فوهة إحدى الآبار اكتشف (نصب السلام)، ومن يدري لعل هذه البئر هي (بئر السلام) التي ذكرها أنطونيوس الشهيد (٥٦٠-٥٧٠ م. ب. م.). إن هذه البعثة وإن كانت قد تمكنت من إرجاع تاريخ عسقلان إلى ١٨٠٠ سنة قبل الميلاد، إلا أنها لم تتابع عملها. فظل هذا ناقصا يحتاج إلى مثابرة وإتمام، وقد أسست مصلحة الآثار بحكومة فلسطين في وسط المدينة القديمة، متحفا جمعت فيه كل ما عثرت عليه من آثار عسقلان.

لقد مثل النشر عبر العصور أداةً للتمدّد والاحتواء، وهو بذلك استطاع أن يمتلك قدرةً استثنائيةً على التجدّد والتنوّع في حركته وتحولاته التقنية، بدءاً من الإيماءة ومروراً بالنقش ثم الطباعة على الورق، ليُشكّل بذلك ضوئاً مُتعدّد الطبقات، يَقبضُ بوميضه على أحاسيسنا المتغيّرة بفعل الزّمن.

إن تمدّداً على هذا النّحو، يمكنه أن يقلّص المسافة، وأن يُجسّد حاجتنا إلى التنقّل عبر المحطات العابرة للتاريخ، بل يُثري تجاربنا في تشكيل القوالب الحيّة لذاكرة لا تغيّب.

فتلك التحوّلات التي أنتجتها التكنولوجيا لم تأتِ صدفةً، إنها انبثاقنا المبتكر نحو خلق الترابط مع الآخر في هذا العالم الواسع.

ضمن تلك الرؤية، صمّمت وزارة الثقافة مشروعها نحو النشر الرقمي ليقينها بضرورة توسيع نطاق النّشر وإتاحته أمام أكبر عدد ممكن من الباحثين والدارسين والقراء.

وزير الثقافة
عماد عبدالله حمدان



مشروع النشر الرقمي